الكتابات الأثرية على البلاطات الخزفية في العصر العثماني

-فن الخزف :

يُعد الخزف من أهم الفنون التطبيقية الإسلامية بصفة عامة و العثمانية بصفة خاصة ، وهو من المواد الأثرية القديمة القيمة وتكمن أهمية الخزف في قيمته الأثرية نظراً لكثرة ما أمدتنا منه المسوحات و الحفائر الأثرية عبر مختلف مناطق العالم الإسلامي ، حيث عُثر على الآلاف من القطع الخزفية، كما يُساهم الخزف على وجه التحديد في وضع ترتيب زمني للتطور الحضاري و الفني وفي تأريخ طبقات الحفر الأثري وكذلك ترتيب الطرز الفنية، وتتميز التحف الخزفية بصلابتها ومقاومتها لعوامل الزمن، ولذلك وصل إلينا مئات القطع الخزفية السليمة التي تحتفظ بها المتاحف الكبرى في العالم مثل متحف طوب قابي سراي في أستانبول ، ومتحف الفن الإسلامي بالقاهرة بالإضافة إلى المتاحف العالمية في أوربا وأمريكا وروسيا ، كل هذه المتاحف تحتفظ بمئات القطع الخزفية التي تعود إلى فترات وعصور إسلامية مختلفة بدءا من الصر الإسلامي المبكر و انتهاءا بالعصر وقد تطورت صناعة الخزف في العالم الإسلامي بشكل كبير وأصبح هناك مراكز مشهورة في تلك الصناعة مثل إيران و العراق وبلاد الشام ومصر والأناضول ، وقد ارتبط الخزف التركي ببلاد الأناضول بمجئ الأتراك وفتحهم لتلك البلاد و اتخاذهم الأناضول وطناً لهم وأصبح هناك بعض المراكز الصناعية المهمة في هذه الصناعة سواء في عصر السلاجقة مثل قونيه أو في العصر العثماني مثل إزنيك أو كوتاهية.

لقد ورث العثمانيون معظم ما وصل إليه السابقون عليهم من أسرار في صناعة الأواني الخزفية ثم أضافوا بدورهم إلى هذا الميراث ما وفقوا إليه من زخارف وتلوين ، فوصلوا بذلك إلى قمة الإبداع في انتاج التحف الفني الخزفية الرائعة ، فكانت هذه الأواني الخزفية بمثابة الوثائ التي تجلت في الزخرفة العثمانية وبراعة الفنان العثماني ممثلاً في الأشكال المنسجمة و المتناسقة، و الخطوط الموزونة الأبعاد ، و في الألوان الرائعة ، التي تنم عن سمو في الذوق ودقة في الحس .

يتميز الفن التركي بإنتاج بلاطات القاشاني الذي كان يستخدم لتغطية جدران المساجد ، و القصور، و الأضرحة ، وهي بلاطات ذات أشكال هندسية متعدد ، ورسوم نباتية مختلفة ، مهونة بالمينا المتعددة الألوان ، أو مزينة بالنقوش المرسومة فوق وتحت الطلاء الزجاجي الشفاف .

ويضم الخزف العثماني المشكايات، وأواني المائدة التي امتازت نقوشها وزخارفها بالرسوم النباتية البحتة، وبألوانها التي تكاد تكون مقتصرة على اللونين الأخضر و الأزرق، فضلا عن البرتقالي المحبب لدى الأتراك ، وقد استخدم الأتراك في زخارفهم النباتية : القرنفل ، والخزامى ، و السوسن ، و الورد ، وغيره من الأزهار.

ينقسم الخزف التركي كغيره من الخزف الإسلامي ، من حيث المواد الخام إلى قسمين رئيسيين: الأول وهو عبارة عن الأواني المصنوعة من الفخار الأحمر، والثاني يشمل الأواني المصنوعة من الخزف الأبيض، وكلا النوعين كان هشاً سريع الكسر، وذلك لأن الخزاف لم يعتن بتنقية الطينة من الشوائب الجيرية والرملية وغيرهما من المواد التي تُضعف لزابتها (مرونتها) وتساعد على تفككها، فقد كان هم الخزاف الأول هو الزخرفة دون غيرها.

المراكز الصناعية لصناعة الخزف :

-بورصة :

تُعتبر مدينة بروسه أهم مدينة لصناعة الخزف في القرن الخامس عشر، وبل وأول مركز لصناعة التخزيف في الدولة العثمانية ، حيث بدأت صناعة الخزف بهذه المدينة منذ أواخر القرن الرابع عشر الميلادي، فبدأت بصناعة بلاطات من القاشاني الخالية من الزخرفة ، وملون باللون الأزرق والأصفر والأخضر والأبيض ويحيط بها إطار مذهب . ومن العمائر التي زينت بهذا النوع من القاشاني ، مسجد مراد الأول الذي أنشئ بمدينة أزنيك (نقيه) سنة 1378م ، والجامع الأخضر ببروسه الذي تم بناؤه سنة 1424م ، ومسجد المرادية الذي أُنشئ سنة 1426م ، وقد استمر استعمال هذا النوع من القاشاني الخالي من الزخرفة حتى تم للأتراك الاستيلاء على القسطنطينية 1453م .

-أزنيق (أزنيك):

بلغ خزف إزنيك في القرنين (16-17م) شهرة كبيرة ، إذ اكتملت في تلك المرحلة للخزف التركي مقوماته الفنية ، وأصبح له طابعه المتميز، واحتل مكان الصدارة بين خزف العالم الإسلامي ، وقد أطلق تجار العاديات في القرن (19م) على ثلاثة أنواع مختلفة من الخزف من إنتاج إزنيك ، أسماء مراكز صناعية أخرى ، وهي كوتاهية ودمشق ورودوس ، وقد قسم أرثر لين (Arthur lane) حزف إزنيك إلى ثلاثة مجموعات ،

وقد ازدهرت الصناعات الخزفية في مدينة إزنيق ووصلت إلى قمة ازدهارها في القرنين (16-17م) ، مَرَدُّ هذا التطور يرجع بالدرجة الأولى إلى نوعية التربة أو الطينة الجيدة التي تتوفر في المنطقة، حيث تكاد تشبه كثيراً طينة البورسلان (الكاولين)

وساعد أيضا موقع هذه المدينة الذي يقع على الطريق الرئيسي الممتد من حلب إلى أسطنبول مروراً بدمشق وبورصة ، إذ يعتبر من الدوافع الأساسية التي أدت إلى انتشار صناعة خزف مدينة ازنيق سواء الأواني أو البلاطات الخزفية من وإلى مناطق نفوذ الدولة العثمانية ،وكتب المؤرخ التركي سعد الدين عن خزف مدينة أزنيق : " تربة مدينة إزنيق تنتج أواني خزفية يعجز اللسان عن وصفها، وإنه لمن الصعوبة حقاً التمييز بينها وبين البورسلان الصيني (طينة الكاولين) وأن الخزف الذي استعمل في زخرفة المساجد والعمائر الهامة بتركيا يرجع مصدره إلى هذه المدينة (ازنيق) ".

كما أن هناك عامل مهم آخر ساهم في تطور صناعة البلاطات الخزفية وهو وفود بعض الحرفيين الأرمن (أرمينيا) و اليهود إلى المدينة خلال القرنين (17-18م) ، أين زاولوا بها صناعة الفخار و الخزف .

الزخارف الكتابية على منتوجات خزف ازنيق:

يلاحظ على الزخارف الكتابية التي استخدمت في تزيين هذا النوع من خزف مدينة ازنيق وبصفة خاصة المشكاوات الخزفية أنها تقوم عادة على نصوص مكتوبة بخط الثلث، تتضمن بعض العبارات الدينية مثل الشهادتين وتُقرأ على رقبة مشكاة خزفية مصدرها جامع صوقللو محمد باشا (979هـ/1571م) أوبعض الآيات القرآنية مثل الآية 35 من سورة النور ((ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ)) وتقرأ على رقبة مشكاة خزفية مصدرها جامع السليمانية (965هـ/1557م) والآية 18 من سورة الجن ((وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا)) وتقرأ على بدن مشكاة خزفية محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة الآية 45 من سور العنكبوت ((إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ)).

كوتاهية (Kutahya) :

تقع هذه المدينة على مسافة 75 ميل جنوبي مدينة ازنيق ، وهي تعتبر من أهم مراكز صناعة الخزف العثماني في القرن (12-18م) . وقد قامت صناعة الخزف في مدينة كوتاهية أساساً على يد الأرمن ، ذلك أنه من المعروف أن كثيراً من الأرمن قد دخلوا من أرمنيا إلى مدن آسيا الصغرى .

وكانت كوتاهية أهم مركز لصناعة الخزف في الدولة العهد العثماني في القرن 18م ، بعد أن تراجعت صناعة الخزف في ازنيق ، وكانت مصانع الخزف في المدينة في القرن 17م تشتهر بإنتاج الأواني المنزلية خاصة (الفناجين) القهوة ، وبذلك أصبحت عبارة (فنجان كوتاهية) تطلق على كل خزف كوتاهية وتميل الزخارف في خزف كوتاهية إلى تقليد زخارف البورسلين الصيني ، ذي اللونين الأزرق و الأبيض، ولكن يغلب عليها البساطة سواء أكانت رسومها هندسية أو نباتية.

-أسطنبول:

أدى تدهور مركز مدينة أزنيق في صناعة الخزف إلى نشأة الكثير من المراكز الصغيرة الأخرى التي كانت تقوم بعمل خزف شعبي لسد الحاجات المحلية ، كذلك عُني السلاطين بأن تكون لهم مصانعهم الخاصة ، فأنشئ في أواخر القرن (17م) مصانع في قرن الذهب وهي إحدى مقاطعات مدينة أسطنبول ، ويقول المؤرخ التركي (شلبي) أنه كان يوجد بها مائتان وخمسون مصنعاً للخزف .

وتنوعت أشكال الصناعات الخزفية بهذا المصنع إذ كانت زخارفها محاكية للطبيعة ذات الزخراف النباتية ، مع ملاحظة التأثير الأوربي الكبير على زخارفها.

إلا أن هذا المصنع لم يستطع الاستمرار لفترة طويلة لعدم استطاعته بمنافسة الصناعة الخزفية الأوربية التي كانت زهيدة الثمن في ذاك الوقت .

ومع نهاية القرن (19م) أمر السلطان عبد الحميد بإنشاء مصنع للخزف و البورسلين بقصر يلدز الذي كان مقراً له ، وتفوق هذا المصنع في إنتاج الصناعات الخزفية إذ كانت غاية في الدقة و الجمال إلا أن هذا المصنع كان لا يكفي سوى لطلبات القصر ، وقد انفرد هذا المصنع بوضع علامة خاصة لمنتجاته تتمثل من هلال ونجمة باللون الأخضر.

-شناك كال ومرفت:

لم ينحصر إنشاء مصانع الخزف ، بعد نقص وتدهور إنتاج مدينة ازنيق على مدن آسيا الصغرى ، بل تعداها إلى الغرب ، فقد أُنشأت مصانع للخزف في مدن الدردنيل ، مثل مدينتي شناك كال ، ومورفت ، وكان إنتاج هذه المصانع إنتاجاً شعبياً ، ولكنه كان على قدر كبير من الرشاقة و الذوق الفني ، وكانت المصانع تصنع نوعين من الخزف ، هما الفخار المطلي ، والخزف المتعدد الألوان ، ومن أحسن ما أنتجته هذه المصانع أنواع من الأطباق و القدور و السلاطين من الفخار الأحمر ، مطلية باللون الأرجواني وعليها زخراف ملونة ثم يأتي عليها طلاء رصاصي مائل إلى الصفرة .

وتمتاز زخارف هذا النوع من الخزف ، برسم المناظر الطبيعية المرسومة بحرية ، مثل الاشجار و الأكواخ و الحيوانات و المراكب الشراعية و الحدائق و العناصر النباتية المتعددة و الزخارف الهندسية ، مرسومة في معظم الأحيان باللون الأرجواني أو الأزرق على أرضية بيضاء ، وعليها طبقة من البريق المائل إلى الصفرة، وقد تكون الزخارف المتعددة الألوان مثل الأزرق و الأبيض و الأحمر و الطماطي

من أعظم منتجات الخزف التركي في العهد العثماني نجد البلاطات الخزفية القاشاني وقسمت من حيث أسلوب صناعتها إلى ثلاثة أقسام أولها بلاطات الفسيفساء ، وهي تتكون من طينة بيضاء ومطلية ببطانات ملونة ، وتغطي هذه البطانات بطلاء زجاجي شفاف ، أما تصميم هذه البلاطات فيكون على شكل قطع صغيرة، بحيث تكون ضمن مجاميع منها الوحدات و التصاميم الزخرفية/ النباتية منها أو الهندسية أو المشاهد التصويرية ، واستمرت صناعة هذا النوع من البلاطات حتى أوائل القرن (18م) ، أما النوع الثاني فهو بلاطات القاشاني المربعة، وقد ظهرت نتيجة لما تحتاجه البلاطات الفسيفسائية من جهد ووقت و أيدي عاملة ، على عكس البلاطات المربعة فبالمقارنة وفرت الوقت و الجهد، كما أن التصاميم الزخرفية بدت تظهر أكثر دقة و اتقاناً . أما النوع الأخير فهو بلاطات القاشاني البارز، وهو الذي يستخدم في تكسية العناصر المعمارية غير المسطحة كحنيات المحاريب وبطون العقود و المقرنصات والقباب. فقد ورث العثمانيون هذه الطرق جميعاً ولكنهم انتقوا منها طريقة أحبوها، وفضلوها على غيرها، و أكثروا من استعمالها في عمائرهم هي البلاطات الخزفية أو التربيعات القاشانية . تفضيل العثمانيين لهذه الطريقة في زخرفة الجدران ربما كان راجعاً إلى أنها أقل تعقيداً في الاستعمال من الفسيفساء الخزفية التي كان يفضلها السلاجقة الروم ، فالبلاطات القاشانية أكبر حجماً من الفصوص الخزفية، والنقش فيها يكون اوضح، وتركيبها ليس معقداً ولا يحتاج إلى جهد كبير، وهكذا اشتد الاقبال على استعمال هذه الطريقة، ولم تتفوق على تركيا العثمانية دولة أخرى من الدول الإسلامية ، وشاعت في أيامهم بعد أن كان استعمالها محدوداً قبلهم، ، وليس ببعيد أن تكون العمائر التي زينت بهذه الطريقة في دول إسلامية أخرى أتى عليها القدم و الإهمال فضاعت معالمها في حين أن العمائر العثمانية المزينة بالقاشاني قد وصل إلينا منها الكثير.

القاشاني : أو القيشاني كما تسميه العامة نسبة إلى مدينة قاشان الإيرانية التي اشتهرت بصناعة الخزف البلاطات الخزفية وهو مصطلح معماري فني أطلق في العراق و إيران وتركيا على البلاطات الخزفية التي تغطي الأرضيات وجدران الأبنية لزخرفتها وحمايتها، وتعتبر مدينة قاشان من المراكز الكبرى التي ساهمت في تطوير الفنون الخزفية الإسلامية فكانت تنافس المراكز الأخرى في صناعة الخزف مثل:فيرامين،وسمرقند.

وهو عبارة عن ألواح خزفية -بلاطات – مربعات ، تنقش على سطوحها زخارف ملونة بالأزرق النيلي و الأزرق السماوي ، و الأخضر، وأحياناً الأحمر، وتُحاط هذه الزخارف بخطوط سوداء دقيقة تجعلها بارزة على أرضيتها البيضاء ، وقد انتشر استعمالها كثيراً في تزيين جدران العمائر في العهد العثماني وتتألف الزخارف القاشانية من موضوعات كتابية ونباتية وهندسية،و الكتابات المنفذة عليها تتضمن آيات قرآنية أو جمل تتعلق بحوادث تاريخية مكتوبة بالخط الفارسي ، أما النباتية تتكون من أزهار طبيعية كالزنبق و القرنفل و الورد وأشجار السرو، وأما الهندسية فتتألف من مضلعات هندسية مختلفة .

-صناعة البلاطات الخزفية : إن أقدم حرفة عرفها الإنسان على وجه الأرض هي حرفة الخزف وصناعته و التي تعود إلى القرن السابع قبل الميلاد ، فقد دلت الاكتشافات الأثرية المبكرة على ذلك منم خلال النماذج الخزفية التي عثر عليها وتمثلت في صور أشخاص وحيوانات وأدوات منزلية ، وقد استخدت عجلات الخزاف في آسيا الصغرى وعرف المصريون لأو العجلات التي تُدار بالأقدام ، وظهرت صناعة الخزف في بلاد الشام منذ القرن السادس قبل الميلاد ، وكانت مركزا هاماً لصناعته .

كانت البلاطات العثمانية تتخذ شكل المربع أو المستطيل تُرتب معاً بنسق رباعي ، أو حتى بأعداد أكبر، لتُشكل ألواحاً متقنة بقياس واسع محلاة بأزهار و السعفيات وبألوان مختلفة ، يتكون البدن من عجينة بيضاء ناعمة ، وتنفذ التصاميم بالأزرق الداكن و الأخضر و الأرجواني الفاتح و الباذنجاني و الأحمر الطماطي (بلون الطماطمة الناضجة) حيث توضع عادة على خلفية بيضاء وأحياناً على أرضية لازوردية (الأزرق السماوي) ، كانت الألوان نفسها مستنبطة من عجائن قابلة للتزجيج غير أنها كانت تُكسى بغطاء صقيل شفاف من اللون المنسق ، وقد نُسب إدخال هذه التقنية في بعض الأحيان إلى الحرفيين الفرس الذين استقدمهم سليم الأول بعد غزوه لتبريز عام 1514م ، على الرغم من التشابه في اللون و التصميم بما كان يُعرف في فارس بآنية (كوباشي) ، لكن هناك اختلافات واضحة بين النموذجين ، و التأثير الفارسي لا يبدو ممكناً ومقنعاً كون أن هذه التقنية و طبيعة الزخرفة و أسلوب معالجتها قد طورها العثمانيون أنفسهم عبر مراحل فنية .

أهمية البلاطات الخزفيةو مواقعها:

وقد كان تأثير الثراء الزخرفي جلياً على العمارة فلا تكاد تجد بيتاً أو قصراً داخل فضاء المدينة أو خارجها لا يتوفر على هذه المربعات الزخرفية بحيث كانت جدران الفناءات و أطر العقود و النوافذ و سمكها تزدان بها ، و تشكل بها أفاريز تحيط بأعالي جدران المطلة على الفناء، كما كانت تُزخرف جدران الغرف بالمربعات الخزفية على ارتفاع أقل من متر، كما استخدمت لتبليط أرضيات الغرف و جدران السقائف، و قوائم السلالم، والقباب و لم تستعمل في الواجهات الخارجية للمباني و تظهر أهمية استخدام المربعات الخزفية في تبليط الأرضية حتى يساعد في الاعتناء بها وتنظيفها خلافاً لمادة الخشب التي تكون في الكثير من الأحيان عرضة للحشرات، بالإضافة إلى دورها في تلطيف الجو داخل الغرف إذا كانت درجة الحرارة مرتفعة، كما تضفي بهاء و متعة للناظر، و توضع البلاطات إما فردية أو في شكل لوحات .

كانت الجزائر تستورد من الدول الأوربية كثيرا من المواد من بينها بلاطات الزليج ، و التي كانت ترد من أسبانيا وتونس ولكي تستخدم في زخرفة حوائط مباني القصور و الدور والحدائق و التي كان يطلق عليها زليس (Zellis) أو زليج ، وقد جلب الزليج إلى الجزائر من ضمن ما جلب من مواد فنية كثيرة بعد خروج الإسبان من المرسى الكبير.

كما كانت بلاطات الزليج تجلب من إيطاليا وبالذات من نابولي، حيث تذكر وثائق وسجلات البايلك ومصاريفه والسجلات الخاصة بعلاقة الجزائر بالخارج أن كمية كبيرة من بلاطات زليج صغيرة وأخرى كبيرة وتسميها تلك الوثائق زيلايج أنابولي .

وكانت هولندا من الدول الأوربية المتعاملة تجارياً بشكل واسع مع الجزائر في القرن 18م ، وكانت رغبتها في الحفاظ على مركزها التجاري مع الجزائر سبباً في قبولها دفع هدايا وضرائب سنوية كبيرة بعضا نقداً و البعض الآخر عيناً ، كانت بلاطة الزليج من ضمنها و التي تشكل كمية ضخمة مستخدمة في زخرفة مختلف المباني الجزائرية في العهد العثماني .

وتضمنت بلاطات الزليج في المباني العثمانية في الجزائر ثلاثة أنواع : النوع المصنوع في تركيا ، و النوع المصنوع في تونس ، و النوع الثالث مجلوب من أوربا . وقد استخدمت هذه الأنواع الثلاثة في تكسية الجدران بغرض زخرفتها بجانب بعضها البعض، كما نرى استعمال أحد هذه الأنواع بكثرة على معلم معين دون آخر.

الزخارف الكتابية على البلاطات الخزفية في الجزائر في العهد العثماني : تعد البلاطات الخزفية من المواد التي نالت حظا من الزخارف الكتابية، وان كانت قليلة الاستخدام، ونماذجها معدودة، إلا أنها تشهد على اهتمام الفنان بزخرفة البلاطات الخزفية بالزخارف الكتابية، ومن تلك النماذج مانراه في أشرطة من البلاطات الخزفية التركية الموجودة بضريح سيدي عبدالرحمن وهي في غاية الروعة والجمال. ، إضافة إلى بلاطات تعد جزءا من تجميعات للوحات فنية خزفية تركية موجودة بقصر الباردو.

وأما البلاطات التونسية فالكتابات فيها نادرة ، حيث لا نجد الكتابات إلا على بلاطة تعد جزءا من تجميعة أو لوحة فنية خزفية مدمجة ضمن تكسيات محراب جامع سوق الغزل سجلت عليها عبار"عمل الأسطى." في حين جاءت بعض البلاطات الخزفية الهولندية بدلا من الاستعمال الزخرفي للكتابات جاءت لتسجل فيها توقيعات الصناع والفنانين بالحروف اللاتينية، وهذا النوع من البلاطات نجده في تجميعات خزفية بسقيفة قصر مصطفى باشا سجل عليها إمضاء الفنان الرسام Jean Van Maak((، وأحيانا يختصر اسمه في الأحرف التالية) :J.M(Ma k)J.V.M.

إن الخط العربي كان العامل المشترك في كل ماجاد ت به يد الفنان العثماني من عمائر مختلفة الأنواع وتحف مصنوعة من مواد مختلفة ولم يكن هناك مبنى من المباني أو تحفة من التحف إلا وكانت كلها أو جزء منها مزخرف بآيات قرآنية أو حديث أو قول مأثور أو حكمة أو أشعار، وكل ذلك يبين بما لا يدعو للشك اجلال وتقدير العثمانيين للخط العربي ، وهذا الإجلال و التقدير هو الذي أملى عليهم استخدامهم له كجانب زخرفي في العمائر و الفنون التطبيقية ومن بينها البلاطات الخزفية ، وقد تضمن مضامين الكتابات معان جليلة تنم عن العاطفة الدينية و الإيمان العميق وخاصة حين تستعمل تلك الكتابات في المعالم الدينية من مساجد وأضرحة كما يتجلى شعورهم الديني و إيمانهم العميق في ما احتوته الكتابات من صيغ دينية مختلفة وأشعار صوفية مثلما يتضح في أكسية بلاطات الزليج التركي التي تكسو الحو ائط الداخلية بضريح سيدي عبد الرحمن بأعالي القصبة في الجز ائر العاصمة.

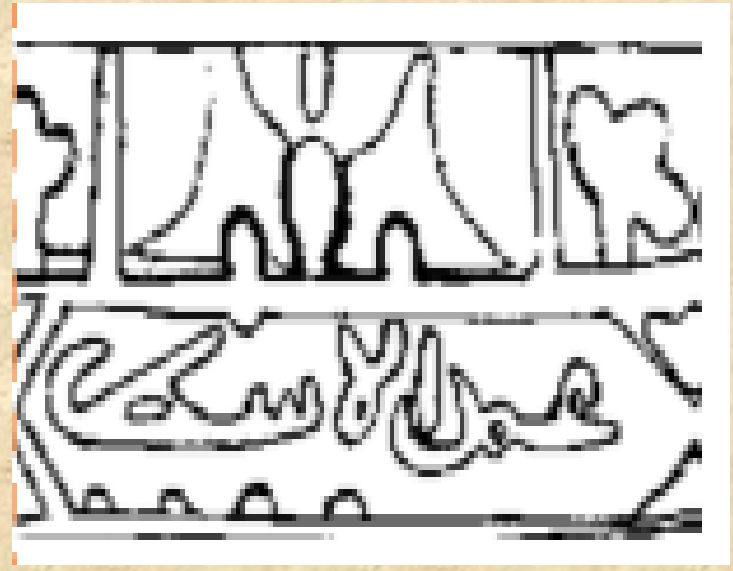

بلاطة تونسية مستطيلة الشكل توجد واحدة فقط الأرجح أنها جلبت من القصر تمثل توقيع الصانع"عمل الأسطا" عليها،كتابية ونباتية حتمل الألوان البنية والخضراء والصفراء وهي تمثل أشكال هندسية وكتابية ونباتية تحمل الألوان البنية و الخضراء و الصفراء.

الكتابة فيها على شكل خراطيش أو بحور تحتلها كتابة بخط الثلث العثماني الرشيق أو بالخط الفارسي من نوع النستعليق ، وشكلت الحروف بطريقة مركبة احتفظت فيها الكتابة بخط التنظيم السفلي، وركبت بعض الكلمات في الأجزاء العليا كلمات أخرى ، وكتبت الحروف باللون الأزرق الكوبالتي البراق على أرضية بيضاء ناصعة أو باللون الأبيض الناصع على أرضية زرقاء كوبالتية لامعة ، ويتميز ملمس البلاطات بالنعومة و الاحساس و الإنسيابية، وفي حالة الكتابة باللون الأبيض الناصع فإن أجزاء الحروف المستديرة أو بطونها كاستدراة حرف الميم و الواو و الهاء و العين و الفاء و القاف وما إليها ، بطون هذه الحروف وما إليها ملئت أو رصعت باللون الأحمر الطماطي الرقيق ، مما أضفى على الكتابة و البلاطاتوتجميعاتها ولوحاتها مظهراً فنياً رائقاً ترتاح له العين وتطمئن له النفس

بلاطات خزفية ذات زخرفة نباتية كتابية بضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي بالجزائر

ومن المعروف أن مدينة أزنيك في تركيا كانت إلى نهاية القرن 11هـ 17 م من أعظم مراكز صناعة الخزف و البلاطات الخزفية في العالم حيث كانت تصدر منتوجاتها إلى مختلف الأقاليم الإسلامية المنضوية تحت الحكم العثماني ومنها الجزائر.

وتتميز الكتابة بنوعين من الخطوط :

الخط الفارسي : ويتميز باستعماله في الكتابة باللون الأزرق الكوبالتي على أرضية بيضاء، ويأتي في الجزء الأعلى من الحوائط.

الخط النسخي من نوع الثلث : وتتميز به الكتابة باللون الأبيض ولمسات من الأحمر الطماطمي على أرضية زرقاء كوبالتية ، وقد استخدمت بحور هذين النوعين من الخطوط بصورة متراكبة الواحدة فوق الأخرى .

أما المضامين الكتابية فيمكن تقسيمها إلى قسمين :

الأولى : عبارات وصيغ دينية مكتوبة بالخط الفارسي باللون الأزرق الكوبالتي على أرضية بيضاء ناصعة من بحران في الضلع الجنوبي الغربي تتضمن :

البحر الأول : الدنيا كلها غرور

البحر الثاني : كل نعيم دون الجنة فانية .

يليه في نفس الضلع بالقرب من ركنه بحران آخرين .

الأول قوامه : الإيمان في التقوى

الثاني: لا شرف أعلى من الإسلام

وبجدار القبلة يمين المحراب ستة بحور متراكبة كل بحرين في صف أفقي .

الصف الأول: يتميز بصغره عن بقية بحور الصفوف الأخرى ويتضمن الشهادة ، الصلاة على الرسول ، في الأول : لا إله إلا الله و الثاني : محمد رسول الله.

و الصف الثاني قوامه ، البحر الأول : لا تحزن على كل مفقود ، البحر الثاني : وذاكر المعبود موجود .

الصف الثالث : البحر الأول : من يكن في خدمة الله ، البحر الرابع : يجعل الله الأشياء في خدمته.

القسم الثاني من الكتابات : وتقع أسفل الكتابة السابقة ، رُتبت في صفوف أفقية من ثلاثة بحور أو بحرين ورسمت الكتابة بالخط النسخي من نوع الثلث التركي و الذي نجد ما يشبهه في مساجد تركية مثل مسجد السلطان سليم الثاني في أدرنة 1569م و المسجد الجديد في أسطنبول (أكمل سنة 1663م) و أقربها إلى أسلوب كتابة بلاطات سيدي عبد الرحمن الثعالبي

كتابة المسجد الأخير.

وتشتمل الكتابة على أشعار صوفية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم منقصيدة البردة للإمام البوصيري وتمتاز أبيات القصيدة بالتقطع وعدم الترتيب الناتج إما عن عن أبيات معينة منها أو أُزيلت البحور المكملة لها ، ونجد في مطلع القصيدة في بحر بالجدار الجنوبي الغربي مرتبة في ثلاثة بحور:

الأول : أم تذكر جيرن بذي سلم مزجت دمعا جرت في مقلة بدم

الثاني: نعم سرى طيف من أهوى فأرقني

الثالث: و الحب يعترض اللذات بالألم .

ويوجد فان من أربع بحور أخرى على يسار التجميعة السابقة وعلى نفس الجدار الجنوبي الغربي.

الأول قوامه: فإن أمارتي بالسوء ما ما اتعظت .

الثاني: من جهلها بنذير الشيب و الهرم .

كما يوجد بجدار القبلة إلى يمين المحراب صفان من أربع بحور:

الثاني: البحر الأول منه : لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل استفق بهم .

وهو الشطر الثاني للبيت ، فما لعينك إن قلت أكففا همتا و الأكسية الأخيرة إلى يسار المحراب اندثر جزء منها ولم يبق غير أربعة بحور ذات صفين:

الأول : فكيف تنكر حباً بعدما شهدت

الثاني: بع عليك عدول الدمع و السقم

الثالث: و أثبت الوجد خطي عبرة وظني.

الرابع: مثل البهار على خديك و العنم .

وتتميز هذه الأبيات الشعرية بأنها كتبت على مستويين رسمت الحروف القائمة فيها باستطالة واضحة تتداخل وتتقاطع مع الحروف المستلقية كما رسمت فيها أشكال الحرف الواحد بتطابق تام في جميع اللوحات.

ويوجد على جدار القبلة إلى يمين المحراب ويساره ، حشوات مربعة من بلاطات خزفية صغيرة الحجم ، ذات كتابة بخط النسخ المغربي وتتضمن عبارتين متكررتين بنفس اللون الأبيض ة الأرضية الزرقاء التركوازية الأولى : أبشريا فتى أن الفتى أن الفرج قد أتى ، و الثانية : في التأني السلامة و في العجلة الندامة ، وبالرغم أن الفنان أراد أنيمنح الحروف القائمة مظهراً فنياً يجعل نهايتها على شكل ثلاثي . فإن الخط يبدو بسيطاً لا جمال أو رقة فيه ولا يرقى إلى مستوى المجموعة التركية ، ومن الصعب اثبات مصدر هذه البلاطات ، وإن كنا نرجح أنها صناعة محلية متأخرة ربما صنعت خصيصاً . لتُهدى إلى الضريح ، وربما كان ذلك في النصف الثاني من القرن 19م ، لأن في هذه الفترة نقلت مجموعة من رفاة بعض المتوفين حيث دفن بعضها خارج الضريح و البعض الآخر دفن داخله.

وتتميز هذه الأبيات الشعرية بأنها كتبت على مستويين رسمت الحروف القائمة فيها باستطالة واضحة تتداخل وتتقاطع مع الحروف المستلقية كما رسمت فيها أشكال الحرف الواحد بتطابق تام في جميع اللوحات.

ويوجد على جدار القبلة إلى يمين المحراب ويساره ، حشوات مربعة من بلاطات خزفية صغيرة الحجم ، ذات كتابة بخط النسخ المغربي وتتضمن عبارتين متكررتين بنفس اللون الأبيض ة الأرضية الزرقاء التركوازية الأولى : أبشريا فتى أن الفتى أن الفرج قد أتى ، و الثانية : في التأني السلامة و في العجلة الندامة ، وبالرغم أن الفنان أراد أنيمنح الحروف القائمة مظهراً فنياً يجعل نهايتها على شكل ثلاثي . فإن الخط يبدو بسيطاً لا جمال أو رقة فيه ولا يرقى إلى مستوى المجموعة التركية ، ومن الصعب اثبات مصدر هذه البلاطات ، وإن كنا نرجح أنها صناعة محلية متأخرة ربما صنعت خصيصاً . لتُهدى إلى الضريح ، وربما كان ذلك في النصف الثاني من القرن 19م ، لأن في هذه الفترة نقلت مجموعة من رفاة بعض المتوفين حيث دفن بعضها خارج الضريح و البعض الآخر دفن داخله.

بلاطات خزفية ذات زخرفة نباتية كتابية بضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي بالجزائر